

قصة قصيرة

النعكاس

علاء عورض

انعكاس
قصة قصيرة
بقلم
علا عوض

صرخت أحدي فتيات الثانوية بأخرى على حافة الشارع: من تظني نفسك؟! لست الأمرة هنا!

ثم دفعتها من حافة الرصيف، التفتت الفتاة الأخرى إلي صوت صفارات العربة القادمة بسرعة صاروخية، أغمضت عينيها، فلم يكن هناك وقت لغير ذلك..

فتحت الفتاة عيونها لتجد نفسها في مكان غريب، يفترش الأرض زجاج عاكس لسماء الليل ونجومه، كانت الاضاءة ضعيفة، ولكنها ليست ظلام دامس، يتوسط المكان مرآة متهاكة متسخة، كشاشة تلفاز كبيرة، وقفت الفتاة متسائلة تحدث نفسها: ماذا حدث؟!.. أين أنا؟! لحظة.. من أنا؟!!

تأوهت الفتاة لما أصاب رأسها من صداد مفاجئ ثم اتسعت عيناها: أجل تذكرت، اسمى سارة ولكن لما أنا هنا؟!!

سمعت أصوات متداخلة خافتة تأتي من مكان بعيد، تناديهما، التفتت لمصدر الصوت، وكان المرأة، فاقتربت منها، ترددت ثم لامستها، لمعت المرأة

كالشاشات، تراجعت سارة للوراء مجفلة، رأت جسدين على نقالتين بالشارع، وحولهما الكثير من المسعفين، استطاعت تبين ملامح أحدهما، لقد كان جسدها هي، وقفت أمها من وراء المسعفين تبكي وتصرخ راجية من الله أنجأها، قال أحد المسعفين: لا يوجد نبض نحتاج إلى صعقها فوراً!

ذهلت سارة وبدأت تنادى بصوت عالٍ: أمي!.. أنا هنا.. أمي!

لم يصدر أحد أي استجابة تدل على سماعها، كانوا منهمكين فيما يفعلوا، صعق المسعفون جسد الفتاة الأخرى مرة بعد مرة بينما ظلت تصرخ أمام المرأة تحاول الوصول لأمها لكن بدون جدوى، توقفت سارة عن النداء مترقبة عندما تحرك أحد المسعفين من جانب الجسد، ادار رأسه في خيبة أمل وهموا بالرحيل، تعالي صوت بكاء أمها أكثر فأكثر..

اختفي الانعكاس مع أمها من المرأة تارك صدي صراخها يتردد في أرجاء المكان، بقيت سارة مصدومة مما رأت تردد في هيستريا: لا أمي! لا

تتركيني.. لا تتركيني أمي.. ثم طرقت على المرأة بقوة: لا تذهبوا أنا هنا!.. ولكن المرأة ظلت كما هي وقعت سارة أرضاً تبكى: لا تتركوني أرجوكم!
تلفتت حولها في رعب: ما هذا المكان لما أنا هنا؟! أنا خائفة لماذا؟!!

صرخت متسائلة: لماذا؟!!

لمعت المرأة مرة أخرى وكان الانعكاس لحادثة تحدث في المدرسة كانت سارة ومعها فتاتان من أصدقائها الزائفين، يضحكن متتمرين على فتاة أخرى في مخزن المدرسة، دفعتها سارة بقوة، ضحكت ثم قالت ساخرة: يا لك من قبيحة؟!!

خافت الفتاة المحاصرة للغاية، نظرت لها سارة بشفقة درامية ساخرة: أوه لا يا للفتاة المسكينة أنت خائفة؟!!

أومأت الفتاة مرتعبة.

- إذا لماذا تتتمرين على الآخرين إذا كنت جبانة إلي هذه الدرجة؟!.. ثم صاحت بغضب: أنا لا أحب المتتمرين..

بكت الفتاة ذليلة في صمت، فقالت سارة مشمئزة: يا الله و هل تبكى الآن؟! لما لا أسمع لك صوت؟ ثم صرخت بها: ألا تعرفين سوى البكاء؟! يا لك من فتاة عديمة الفائدة، حقا اكره أمثالك..

ثم لطمتها بغضب، اجهشت الفتاة بالبكاء متأوهه ربتت سارة على شعرها بحنان مهدئة اياها ثم ملست ذقنها قائلة باستهزاء: لنعلمك درسا كي تكفى عن إيذاء من حولك ما رأيك بقص شعرك الجميل؟! شهقت الفتاة فزعة وأرادت الهرب، كتفوها الفتاتان لتجلس مرغمة، صرخت الفتاة محاولة الفكاك حاولت احداهن كتم صراخها فعضت يدها، فثاروا وانهالوا عليها ضربا ولطما، خارت الفتاة من الضعف، والدم يسيل من فمها، فأمسكت سارة شعرها في تلذذ، وقصته كله وهي تضحك بجنون بينما تصرخ الفتاة وتبكي قهرا وألما تحاول الاستنجاد بأي أحد.

شاهدت سارة انعكاسها مذعورة، واضعة يديها على فمها بدأت تصرخ مستنكرة فعلها بعد انحلال عقدة

لسانها: توقفي ماذا تفعلين؟!.. صرخت بأعلى صوتها: توقفي!.. فليوقفها أحدا!.. أرجوكم!

ثم أغمضت عينيها غير مصدقة: لا لا لا لا لا لا.. كل هذا كذب لا يمكن، هذه ليست أنا!

اختفى انعكاسها، وصوت ضحكاته مترددة في المكان، جثت سارة على ركبتيها، ممسكة برأسها، مرتجفة أنفاسها متلاحقة: هذه ليست أنا ليست أنا لا ما هذا؟! ماذا فعلت؟! لماذا؟ لماذا؟!!

لمعت المرأة مرة أخرى كان الانعكاس هذه المرة في البيت..

تأمرها أمها المرتاعة: اختبئي فورا، لا تخرجي مهما حدث أتفهمين؟

قفلت عليها الدولاب، كان انعكاس سارة طفلة ترتجف مذعورة، تكتم أذناها من صراخ أمها!
- قلت لك لن اعطيك المال!

- بل ستعطيني اياه والا قتلتك وقتلت ابنتك.

-ايها الوغد عديم الرحمة! آاه!

-سأشبعك ضربا لأريكي من هو الوغد..

تلاشى صوت الضرب وصراخ الأم.. ومعه انعكاس سارة الطفلة مرتجفة فى رعب..

قالت سارة بصوت متعب خافت ناظرة لانعكاسها المتلاشي: أجل تذكرت الآن كم كنت خائفة؟! كم كان أبى المدمن يرجع غاضبا يطالب بالمال؟! وكم كان يضرب أمى؟! ويضربنى؟! إلى أن غادر فى يوم ولم يعد.. كم كرهت وقتها ضعفي وبكائي وقلّة حيلتي؟! هو السبب فيما فعلت، أجل، هو السبب..

تحدثت إلي المرأة كأنها كائن حي: أليس كذلك؟! هو السبب؟!!

لمعت المرأة كأنها تجيبها فى البيت ثانية ولكن كانت سارة كبيرة فتاة ثانوية، تجلس على طاولة الطعام مع أمها، تحدثت سارة غاضبة: قلت لك أكثر من مرة، أنى لا أحب هذا الطعام، ألا تفهمين؟!!

ثم ألقت بالطبق على المائدة بنفاذ صبر، نظرت لها أمها بأسى قائلة: أظن أحيانا أنك مثل أبيكى تماما.

جحظت عينا سارة ثم صاحت بها: كيف تقاريني بهذا الحثالة؟! أنا لست مثله، مستحيل أكون مثله.

الام: كفى عن التذمر إدا!
 سارة: من منا المتذمر؟! تقارنيني به وكأنك الضحية،
 من منا تزوج بهذا الحقير وانجب منه؟! والآن
 تشبهينني به، أكرهك وأكره هذا البيت..
 خرجت مسرعة، تركت أمها تبكى، خفت نور
 المرأة.

قالت سارة بابتسامة باهتة: لا بل أنا.. كنت أخشى
 أن أكون تلك الفتاة الضعيفة مرة أخرى، اردت
 مساعدة من هم مثلي و لكنى تحولت لوحش بدلا من
 ذلك، أصبحت متممة لا فرق بيني وبينهم..
 بدأ ضوء المكان يخفت ضوئه وتقزمت سارة لطفلة
 مرتجفة، تقول بصوت واهن: أنا وحش.. أكره نفسي
 أكرهها.. ليتني ما ولدت..

أمسي الظلام دامسا لمعت المرأة بضوء ضعيف
 انعكاس لوجه طفلة صغيرة، لم يكن واضحا،
 وصوتها الدافئ يقول بابتسامة: لنكن صديقتان..

ومدت الطفلة يدها، نظرت سارة إلى يد الطفلة،
ومدت يدها للمرأة فى أمل وتردد: انتظرى، لا أريد
أن أكون بمفردي، لطالما كنت وحيدة..

ولكن اختفى الانعكاس، فأرجعت سارة يدها بيأس
وخوف، مرددة: لا أريد أن أكون وحيدة.

ارتجفت سارة الطفلة من الخوف، يكاد الظلام يغرقها
فجأة جاء صوت من خلفها يقول: ولكن أنت لست
وحيدة.

التفتت سارة الطفلة إلى خلفها بلهفة ثم دهشت: أنت؟!
تقدمت فتاة كبيرة مبتسمة: لقد تعرفتى على.

ردت سارة بذهول: أجل أنت وفاء؟! ولكن لماذا أنت
هنا؟!!!

أجابت وفاء: أنا هنا كى أساعدك..

- تساعديني؟! لماذا و كيف؟!!

أجابت وفاء: لماذا؟! لأنكى ابتسمتِ فى وجهى من
قبل.

لمعت المرأة بضوء ساطع هذه المرة، فنظرت سارة
الطفلة لانعكاسها فى المدرسة، كانت كبيرة،

اصطدمت بوفاء موقعة الأخيرة على الأرض،
وتبعثرت كتبها، فضحكت الفتيات الأخريات عليها
وقالت احدهن ساخرة: يا لها من حمقاء.

ابتسمت سارة، وانحنت لوفاء قائلة بلطف: احذري
ممن تصطدمين به المرة المقبلة.
ثم اعتدلت واكملت طريقها.

نظرت سارة الطفلة لوفاء قائلة بحزن: ولكن لم أقصد
ذلك.

قالت وفاء بابتسامة حنونة: ولكنك ساعدتني مرة
أخرى.

لمعت المرأة بضوء أقوى عاكسة سارة وهي تمشي
تبكي منهارة، سمعت صوت اصطدام، نظرت باتجاه
الصوت، لتجد وفاء مصطدمة بحاجز وواحدة من
رفيقاتها تثبتها بالحاجز، تضحك منها ساخرة: انظروا
إنها الحمقاء صاحبة العالم الوردى.

رفعت صوتها محاولة تقليد وفاء: هل تريدان أن
نكون اصدقاء؟ ثم ضحكت وضحك من معها ثم

صاحت: لا يوجد مثل هذه الحماقات أيتها التافهة. ثم لطمتها.

غضبت وفاء ودفعت الفتاة للوراء، استشاطت الفتاة ولكمت وفاء في معدتها، وقعت وفاء على الأرض لم تستطع الوقوف من الألم، أرادت الفتاة لكمها لولا أن منعتها سارة بحزم: يكفي! أتركها.. نحن بالشارع.. استنكرت الفتاة: لا تقلقي، لا يوجد أحد مارًا بالشارع الآن سألقنها درسا ونرحل.

وقفت سارة بينهما: لحظة واحدة لما تريدين تلقينها درسا؟!!

ردت الفتاة باستهزاء: انها مزعجة، وجودها بحد ذاته يزعجني، الا يكفي هذا السبب؟!!

ذهلت سارة تذكرت والدها وضربه لها، كان دائما يضربها وبدون سبب، صائحا بها: مزعجة! طفلة مزعجة!

صاحت سارة: ماذا؟! نحن لا نضرب سوى المتنمرات.

ضحكت الرفيقة ساخرة: لا تتصني البراءة ما الفرق بين ضرب المتنمرات وغيرهن لا تخدعي نفسك، كنت تتلذذين بذلك، لا يوجد فرق بينك وبينهن.

تردد صوت أمها: أظن أحيانا أنك مثل أبيك تماما. ارتجف قلبها رعبا قالت بخفوت فى ذعر: لا لا يمكن لست مثله، ولن أكون أبدا!

نظرت رفيقتها إليها بذهول ثم سخرت: هل صدمت رأسكى أو شئ من هذا القبيل؟! ما بك اليوم؟! ثم نظرت لوفاء الواقعة ارضا قائلة وهى ترفع يدها:

ابتعدى سأضربها ثم نكمل حديثنا فيما بعد. أمسكتها سارة ودفعتها للحاجز قائلة لها بغضب: توقى أيتها المسخ.

غضبت الرفيقة و صاحت باستنكار: ماذا؟! مسخ! من تظنين نفسكى؟! من المسخ هنا؟! صرخت وهى تدفع سارة باتجاه الشارع: من تظنين

نفسكى؟! لست الأمرة هنا!...

خفتت المرأة، نظرت سارة الطفلة لوفاء وهي تقول:
لم أكن أعرف إنها أنت، لم أكن أقصد مساعدتكى..
أسفة..

ردت وفاء ومازالت مبتسمة: لا بأس لا يهم المهم
أنكى وقفت بجانبى..
أحست وفاء بشئ ما فقالت لسارة الطفلة : يبدو أن
وقتي بدأ ينفذ.

اضطربت سارة الطفلة: ماذا؟!!!
استكملت وفاء: أريد أن أقول لكى شيئاً قبل أن أرحل
قالت سارة الطفلة مترجية بصوت باكى: لا تتركينى.
استكملت وفاء دون انقطاع: اسمعني جيداً.
جثت وفاء على ركبتيها ممسكة بكشف سارة الطفلة
قائلة بحنان: لا تبكى.. ضمدى جروح نفسك يا سارة..
فلن يضمدها غيركى..

أنظري لتلك المرأة أرواحنا مثلها تماماً، أحياناً نرى
من خلالها ما نريد، و أحياناً نرى انعكاساتنا فقط،
أحياناً تلمع بأحلى الألوان، وأحياناً تخفت بتراكم
الأحزان، أحياناً تتحمل وتصمد فى وجه الأيام،

وأحياناً تضعف وتنكسر فى وجه الصعاب، وما علينا
هو أن نتقبلها كما هى، نللم شتات أمرنا، ولا نياس
فى مواجهة جروحنا لنقوى، فتلمع من جديد...
مسحت وفاء دمعة ساقطة على وجه سارة الطفلة
تحولت سارة الطفلة لفتاة من جديد، أضى المكان
بتحولها بنور ساطع قوى، و أصبحت الأرضية
عاكسة للنهار، تجددت المرآة المتهاككة إلى مرآة
جديدة براقه..

وقفت وفاء وأوقفت سارة معها ممسكة بيديها ثم
قالت: عليكى أن تعودى الآن.

صدمت سارة متسائلة: ماذا تقصدين؟! وإلى أين
سأعود؟! وماذا عنكى؟!!

فاستطردت وفاء مبتسمة وهى تبتعد عنها: عليكى
الذهاب، نفذ الوقت.

رفضت سارة بإصرار: لا.

وقبل أن تكمل سقطت فى فجوة ظهرت أسفلها،
صرخت وهى تمد يدها لوفاء: لا، لا تتركينى
انتظرى!..

عندما كانتا صغيرتان فى الحضانة، كل منهما كانتا وحيدتان بلا أصدقاء، يتحاشهما بقية الأطفال، اقتربت منها وفاء مبتسمة: لنكن صديقتان، ونعاهد بعضنا على ألا نفترق أبداً..
ومدت يدها ولكن سارة تضايقت، رفضت ومشت مبتعدة.

انسالت دموع سارة: ليتنى قبلت فى تلك المرة ربما.. تخيلت سارة صورتها مع وفاء مبتسمتان كأصدقاء: لا أعلم إذا كان كل ما رأيته حلماً أم لا؟! ولكن أعدكى بأننى لن أنساكى أبداً، وأننى لن أكون تلك الفتاة الضعيفة الخائفة أو ذاك الوحش مرة أخرى، وسأقوى وأكون أفضل بإذن الله، شكراً على كل شئ.
قالت الأم منتشلة سارة من أفكارها: أتعرفين؟! حدث شئ غريب فى تلك الحادثة..
تساءلت سارة: غريب؟!!!

أومات الأم برأسها: عندما أسرع المسعفون إلى مكان الحادثة، وجدوكما ملقيتان على الأرض، وكانت ايديكما متشابكة، وعندما أرادو إبعادكما، كان الأمر صعبا، كأنكما كنتما تعاهدان بعضكما على شئ ما، أليس ذلك غريبا؟!

ذهلت سارة ونظرت ليدها وهي تقول: عهد!
 (تردد صدى صوت وفاء الطفلة وهي مبتسمة قائلة
 لنكن صديقتان ونعاهد بعضنا على ألا نفترق أبدا)
 تذكرت سارة وفاء قبل سقوطها في الفجوة، يتردد
 صوتها بوضوح: وداعا صديقتي..
 ضمت سارة يدها إلى صدرها وهمست لنفسها
 ودموعها تنهمر: وداعا صديقتي.

تمت بحمد لله